مساهمة المغاربة والأندلسيين في الحركة العلمية ببلاد الشام على عهد الأيّوبيين (567 - 648 هـ / 1171 - 1250م)

د/ شوكت عارف محمد الأتروشي
قسم التاريخ، جامعة زاخو – العراق
د/ درويش يوسف حسن
قسم التاريخ، جامعة دهوك - العراق

الملخّص:

رغم حالة التّمزق والانقسام السياسي الذي كان يعيشه العالم الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني والثالث عشر الميلاديين، إلا أن أواصر الثقافة والوشائج الروحية بقيت تشد الأمصار الإسلامية مع بعضها البعض ولم يكن بمقدور الصراعات والخلافات السياسية والمذهبية أن تحول دون التواصل والازدهار الحضاري والمعرفي بينها.

إن هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على هجرة المغاربة والاندلسيين إلى بلاد الشام وانخراطهم في الحركة الفكرية هناك، وقد قُسّم البحث إلى محورين رئيسيين: الأول تمّ فيه التعريف بالمغاربة والاندلسيين ودوافع هجرتهم إلى بلاد الشام في العصر الأيوبي، والمبحث الثاني وفيه تمّ استعراض نشاطات المغاربة والاندلسيين وإسهاماتهم العلمية التي برزوا فيها.

وقد أصبحت بلاد الشام حلقة الوصل ومُلتقى قوافل التجارة القادمة من المشرق الاسلامي من ناحية، ومن أسيا الصغرى والشمال من ناحية ثانية، ومن شبه الجزيرة العربية من ناحية ثالثة، ثُمّ من مصر من ناحية رابعة، وإذا كانت الحروب الصليبية قد عرقلت أحياناً مسيرة القوافل التجارية من الشام وإليه، وذلك بسبب استهدافها من قبل الصليبيين وحملاتهم المتلاحقة والتي هددت البلاد وتسببت بالكثير من الويلات إلا أن ذلك لم يمنع من نشاط الحركة العلمية فيها، ولم تكن بلاد الشام في وسط تلك الظروف العصيبة بمعزل عن محيطها الإسلامي حيث بقيت أواصر الوحدة الفكرية والدينية تشدّها مع الأمصار الإسلامية الأُخرى، ولم تستطع عوادي الزمن أن تحول دون تطور وازدهار المعرفة.

آثر الكثير من المغاربة النازحون إلى بلاد الشام البقاء في تلك البلاد بسبب ما لقوه من الترحيب والدعم لاسيما من الايوبيين، فعاشوا حياة رغيدة آمنة، وسرعان ما اندمجوا في المجتمع الشامي، وكانت لهم بصمات واضحة في الكثير من الميادين، وكان لهم دور مشهود في الجهاد ضد الصليبيين ودفع الكثير منهم حياته ثمناً لذلك، كما وقع العديد منهم اسرى بيد العدو.

كان للمغاربة دور في الكثير من الميادين العلمية وفي مُقدمتها العلوم الدينية والتي تشمل علوم القران الكريم كالقراءات وعلوم الحديث النبوي الشريف والفقه، كما برز العديد منهم في علوم اللغة العربية كالنحو والأدب بالإضافة إلى العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية الصرفة كالطب والصيدلة.

Abstract:

This research is an attempt to highlight the Maghrebens Migration and Andalusians to the Levant and engaging in intellectual movement there .

The research is divided into two main areas: the first was the definition Maghrebens and Andalusians and motives of their immigration to the Levant in the Ayyubid period and the second section, and it was reviewed Maghrebens activities and Andalusians and contributions scientific, which emerged in them.

Opted many Maghrebens displaced to the Levant to stay in the country because of what Guo welcome and support, especially from the Ayyubid, Vashoa affluent life safe, and quickly integrated into Shami community, and have had a clear imprint in many fields and they have been proven in the jihad role against Crusaders and pay a lot of them with his life for this as many of them signed by the prisoners, however, the enemy.

The Maghrebens role in many scientific fields, particularly the religious sciences, which include the Koran Sciences *(kiraats)*, science hadith and jurisprudence, has emerged as many of them in the Arabic language *(nahou)*, literature science, as well as social science and applied science Pure such as medicine and pharmacy.

مقدّمة :

على الرغم من حالة عدم الاستقرار السياسي التي شهدتها بلاد الشام على عهد الأيوبيين (567 - 648هـ/1171 - 1250م) وذلك بسبب استهدافها من قبل الصليبيين وحملاتهم المتلاحقة والتي هددت البلاد، وتسببت بالكثير من الويلات إلا أنّ ذلك لم يمنع من نشاط الحركة العلمية فيها ولم تكن بلاد الشام في وسط تلك الظروف العصيبة بمعزل عن محيطها الإسلامي، حيث بقيت أواصر الوحدة الفكرية والدينية تشدّها مع الأمصار الإسلامية الأُخرى، ولم تستطع عوادي الزمن أن تحول دون تطور وازدهار المعرفة، ولعلّنا لا نُغالي إذا قلنا أن التفكك السياسي الذي أصاب العالم الإسلامي أنداك بالرغم من نتائجه السلبية -كان سبباً في انطلاق وشيوع حركة علمية واسعة انتظمت العالم الإسلامي أنداك، ففي ذلك العصر المضُطرب انتشرت الكثير من المراكز الثقافية، ونمت تبعاً لتعدد المراكز السياسية واختلافها، وكان من أثر ذلك قيام الكثير من الكيانات التي استقلت عن الخلافة العباسية، ودعمت الحركة الفكرية، وزخر بلاط القادة والأمراء بالعلماء والادباء، إذ دأبت تلك الأمصار المستقلة على التنافس فيما بينها في تشجيع رجال العلم والأدب، وأجزلوا العطاء لهم بقصد جذب أكبر عدد منهم، فكان من نتيجة ذلك أن أمّ العلماء تلك الأمصار وقصدوها وكثرت الرحلة في طلب العلم

فساعد ذلك على ترابط علمي متين نشأ عنه تفاعل ثقافي بين تلك الأقطار الإسلامية على تباعدها.

والبحث محاولة لتسليط الضوء على هجرة المغاربة والاندلسيين إلى بلاد الشام وانخراطهم في الحركة الفكرية هناك، وقد قُسّم البحث إلى محورين رئيسيين: الأول تمّ فيه التعريف بالمغاربة والاندلسيين ودوافع هجرتهم إلى بلاد الشام في العصر الأيوبي والمبحث الثاني وفيه تمّ استعراض نشاطات المغاربة والاندلسيين وإسهاماتهم العلمية التي برزوا فيها.

◄ المبحث الأول: التعريف بالمغاربة والاندلسيين ودوافع هجرتهم إلى بلاد الشام:

على الرغم من حالة التمزق والانقسام السياسي الذي كان يعيشه العالم الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني والثالث عشر الميلاديين إلا أن أواصر الثقافة والوشائج الروحية بقيت تشد الأمصار الإسلامية مع بعضها البعض، ولم يكن بمقدور الصراعات والخلافات السياسية والمذهبية أن تحول دون التواصل والازدهار الحضاري والمعرفي بينها، ولعّلنا لا نغُالي إذا قلنا أن التفكك السياسي أنداك بالرغم من نتائجه السلبية –كان سبباّ في حركة علمية عمّت العالم الإسلامي– ففي ذلك العصر المضطرب انتشرت المراكز الثقافية ونمت تبعاّ لتعدد المراكز السياسية واختلافها، وعلى قدر تعلق الأمر ببلاد الشام فقد برز دورها السياسي والحضاري بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر سنة 567هـ /1171م، والذي لم يكن مجرد انقلابا عادياّ وحسب، وإنما كان حدثاّ خطيراّ في تاريخ المسلمين، فبسقوطها أصبحت الخلافة العباسية الخلافة الوحيدة التي يدُين لها المسلمون بالولاء الروحي، وقد قرّب ذلك بين المشرق الإسلامي ومغربه[1]، وأصبحت دمشق حاضرة صلاح الدين الأيوبي تمثّل: «جنة المشرق، ومطلع حسنه المؤنق المشرق... وعروس المدن»[2]، رحل اليها الكثير من العناصر والطوائف من مختُلف أرجاء العالم الإسلامي، وضّم المجتمع الشامي بين مكوناته الكثير من المغاربة والأندلسيين ممّن انتقلوا إلى تلك البلاد بشكل كثيف وتركوا أثار بصماتهم واضحة في التركيب الاجتماعي والبناء الحضاري وخاصة فيما يتعلق بالنظم واللغة والعادات والتقاليد[3].

ومن الجدير بالذكر أن عوامل عديدة ساهمت في نزوُح المغاربة والاندلسيين عن ديارهم لعّل في مقدمتها: أن الظروف السياسية على الساحة المغربية والاندلسية في تلك الفترة اتسمت بالسلبية في مجموعها، وهو ما يمكن أن نسميه بعوامل (الطرد) نتيجة الاضطرابات والتبدلات السياسية في المغرب والأندلس حتى وصلت الأمور إلى درجة لا تطاق بسقوط دول الطوائف في الاندلس وقيام دولة المرابطين (54-485هـ/1092 - 1146م) ومن بعدها دولة الموحدين (541 - 668هـ/1146 1270 م)، وقد ترافق مع هذه التبدلات السياسية في الدول تبدل عقائدي الأمر الي انعكس سلبياً على فئة ليست بالقليلة من الناس الذين شّكلوا طبقة معارضة للحكم لا سيما في عهد الموحدين الذين خالفوا أهل السنة باعتقادهم بالإمامة والمهدوية على الطريقة الشيعية واعتبروا (الإمامة) ركنا من أركان الدين، ونتيجة لذلك ظهر في المجتمع فئة من المعارضين ممن كانوا يدينون بالولاء للمرابطين، والتي كانت تمثل في جوهرها حركة فقهية مالكية، يضاف إلى ذلك أن عوامل الاستقرار في الاندلس منذ سقوط الدولة الأموية كانت مهزوزة هشة الاسس والبنيان بفعل الحروب التي كانت شبه مستمرة بين الدول والمعارضين سواء في عهد المرابطين أو الموحدين[4].

كما كانت التأثيرات السلبية للعوامل الخارجية التي حصلت بفعل الهجمات الصليبية الاسبانية المستمرة باتجاه المدن الاندلسية حتى سقطت معظمها، ولم يبق بيد المسلمين في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م سوى مدينة غرناطة وضواحيها التي كانت تحكم من قبل بني الأحمر، مما أدى إلى نزوح الكثيرين عن بلادهم بعد أن غدا أمر بقائهم في وطنهم مستحيلاً نتيجة الاجراءات القاسية والمهينة التي فرضها الاسبان على المسلمين، من ذلك على سبيل المثال إجبار المسلمين على وضع اشارة على ثيابهم تميّزهم عن غيرهم من السكان وانه لا يجوز لمسلم أن يستخدم مسيحياً على الاطلاق ومن يُخالف ها الأمر تصادر أملاكه، كما فرض عليهم التنصير إلى ما هنالك من الاجراءات القاسية والمجحفة، مما اضطر الكثير منهم إلى الهجرة الجماعية إلى البلاد الاسلامية الأخرى في المشرق لا سيما بلاد الشام[5].

كما أن هناك عوامل أُخرى تجسّدت في بلاد الشام، وهي عوامل إيجابية (عوامل الجذب والاستقطاب) ساهمت في انسياب الكثير من العناصر والطوائف المغربية إلى بلاد الشام ومصر منذ أيام الدولة الفاطمية التي اعتمدت عليهم كثيراً لا سيما في الجيش[6].

كما نزحت أعداد كبيرة منهُم إلى بلاد الشام في العصر الأيوبي بحثاً منهُم عن حياة رغيدة وأمنة بسبب الاستقرار النسبي الذي شهدته تلك البلاد وشُيوع الأمن في ربُوعها مما أدى إلى تراجع وانحسار حدة الصراعات والمنافسات الداخلية مقُارنة مع المرحلة التي سبقت مجيء الأيوبيين وانعكس ذلك إيجاباً على الأوضاع الاقتصادية والثقافية والتي أخذت بالازدهار، فانتعشت الحياة في الكثير من مفاصلها، ولم تكن الحروب الصليبية لتعُيق هذا التقدم، وجاء ذلك إلى حد كبير بفضل السياسة المستنيرة التي انتهجها الايوبيون في تشجيع التطور الزراعي والصناعي، وكذلك في رعايتهم للعلاقات التجارية مع المدن الايطالية، والحفاظ قدر الإمكان على علاقات سلمية مع دويلات الإفرنج في بلاد الشام[7].

وقد أصبحت بلاد الشام حلقة الوصل ومُلتقى قوافل التجارة القادمة من المشرق الاسلامي من ناحية، ومن أسيا الصغرى والشمال من ناحية ثانية ومن شبه الجزيرة العربية من ناحية ثالثة ثُمّ من مصر من ناحية رابعة، وإذا كانت الحروب الصليبية قد عرقلت أحياناً مسيرة القوافل التجارية من الشام وإليه، إلاّ أنها من ناحية أُخرى ضاعفت النشاط التجاري وخاصة مع الغرب الأوربي عن طريق الموانئ البحرية التي سيطر عليها الصليبيون في سواحل بلاد الشام، وكثيراً ما كان العامل التجاري يدفع المسلمين والصليبين سواء إلى عقد هدنة أو صلح ليتمكن الطرفان من استئناف التجارة دون عائق، وقد أثارت هذه الظاهرة دهشة الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي اتجه من دمشق الإسلامية إلى مدينة عكا الصليبية في قافلة كبيرة للتجار المسافرين بالسلع فقال: «ومن أعجب ما يحدث به نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين: مسلمين ونصارى، وربّما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم... واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك، وتجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم وهي من الأمنة على غاية، وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال وأهل الحرب مشتغلون بحربهم والناس في عافية والدنيا لمن غلب ولا تعترض الرعايا ولا التجار فالأمر لا يُفارقهم في جميع الأحوال سلماً أو حرباً وشان هذه البلاد في ذلك أعجب من أن يستوف الحديث

عنه...؟»[8].

من ناحية أُخرى فإن العامل الديني كان هو الأخر مُحركاً لتوجه الكثير من المغاربة والاندلسيين إلى بلاد الشام بقصد (الجهاد)، لكونها تمثل الجبهة الرئيسية التي سعى المسلمون إلى تأمينها من الخطر الصليبي الذي يهددها، وقد سبق للسلطان صلاح الدين أن استنجد بالموحدين سنة 587هـ/1191م عندما راسل خليفتهم أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن (ت 595هـ/1198م)، ورغم أن دعوته لم تلق أذاناً صاغية على المستوى الرسمي[9]، فإن صداها على المستوى العام الشعبي كان ملحوظاً من خلال الدور الذي اضطلع به المغاربة ومشاركتهم المسلمين في الدفاع عن الثغور الاسلامية، ويستشف من المصادر التاريخية وجود الاف المغاربة في بلاد الشام قدموا اليها للمشاركة في الجهاد ضد الصليبين، وقد وقع العديد منهم أسرى بيد العدو كالشيخ الصالح أبو الحسن علي بن عبد الله بن الأندلسي وكان قدم من الاندلس سنة 621هـ/1224م أسره الصليبيون ثُمّ نجاه الله منهم، وسكن دمشق متصدراً للإقراء[10].

ونظراً لتضحيات المغاربة وجهودهم الكبيرة في هذا المجال فقد حرص السلاطين والأُمراء الأيوبيين على فك من وقع منهم في أسر العدو، كما لم يتردد بعض المسلمون من أهل اليسر والثراء من إنفاق أمواله لفك هؤلاء الأسرى المنقطعين عن ديارهم وأصبح هؤلاء القادمون يستقبلون ويُعاملون على قدم المساواة مع إخوانهم أهل الشام، وربما عوملوا بعناية واحترام في بعض الأحيان أكثر من أهل الشام أنفسهم، فعلى سبيل المثال روى الرحالة ابن جبير عن السلطان نورالدين محمود زنكي أنه كان قد نذر أثناء مرض اصابه تفريق اثني عشر ألف دينار في فداء أسرى من المغاربة، فلما شُفي من مرضه أرسل في فدائهم، فسيق فيهم نفر ليسوا من المغاربة، وكانوا من حماة من جملة عمالته، فأمر بصرفهم وإخراج عوض عنهم من المغاربة، وقال: «هؤلاء يفكهم أهلوهم وجيرانهم, والمغاربة غُرباء لا أهل لهم»[11].

كما كان للأثرياء وتّجار المسلمين دور في فك هؤلاء الأسرى، وذكر ابن جبير اثنين من مياسير التجار بدمشق، أحدهما يُعرف بنصر بن قوام، والثاني بابي الدر ياقوت مولى العاطفي، كان «... قدرهما عند أُمراء المسلمين والافرنجيين خطير، وقد نصّبهما الله عز وجل لافتكاك الأسرى المغربيين بأموالهما وأموال ذوي الوصايا، لأنهما المقصودان بها، لما قد اشتهر من أمانتهما وثقتهما وبذلهما أموالهما في هذا السبيل، فلا يكاد مغربي يخلص من الأسر إلاّ على أيديهما...»[12].

ومن الدوافع الأُخرى التي ساهمت في توافد المغاربة هو الرحلة في طلب العلم ورغبتهم في لقاء كبار علماء المشرق، وكانت الشام من المحطات الرئيسية التي توافد عليها هؤلاء بعد أن وجدوا في حواضرها البيئة الصالحة للاشتغال بالعلم، لاسيما العلوم الدينية التي حظيت بدعم السلطة الأيوبية وشُيدّت من أجلها العديد من المراكز العلمية من مساجد ومدارس ودور حديث وما إلى ذلك[13].

ويبدو أن إحساس المسلمين بالخطر الصليبي قد زاد من اهتمامهم بتلك العلوم لدورها في شحذ الهمم الطاقات للصمود بوجه العدو[14]، ولا شك أن كثرة المدارس تدل على الازدهار العلمي، فقد بلغت المدارس في دمشق وحدها في هذا العصر ما لا يقل عن (مائة) مدرسة منها (ثلاثون) مدرسة للمذهب الحنفي, ومثلها للشافعية و(ثمانية) للحنابلة و(اثنان) للمالكية و(ثمانية) للحديث و(أربع) للطب[15].

ويُذكر أن مدارس ذلك العصر –والمساجد أيضاً– كانت مفتوحة أمام الراغبين في الاستفادة يأتون إليها ليستمعوا إلى ما يُلقى في حلقاتها، وعلى طالب العلم أن يجلس في الحلقة التي يروق له موضوعها بلا

شروط ولا قيود، فعلى سبيل المثال كان في الجامع الأموي الكبير بدمشق حلقات لتدريس الطلبة، وكان للمالكية زاوية في الجانب الغربي يجتمع فيها طلبة المغاربة ولهم أجراء معلوم وكان يتولى إدارة أمورها فقيه مالكي مغربي في أغلب الأحيان[16]، وسبق للسلطان نور الدين محمود أن رصد لها أوقافاً كثيرة منها: طاحونتان وسبعة بساتين، وحمام ودكانان، كان هذا الوقف يغل في السنة نحو خمسمائة دينار[17].

وقد شهد تدفق الوافدين إلى بلاد الشام تصاعداً مطرداً في القرن 7هـ/12م، ولا شك أن ذلك يعود إلى جملة عوامل في مقدمتها: الأهمية السياسية والفكرية التي كانت تُشكلها تلك البلاد، فضلاً عن الرعاية التي كان يُوليها الأيوبيون للوافدين لا سيما لطلبة العلم ورواد الحج منهم خصوصاً، وذلك بتوفير كافة مستلزمات الراحة لهم كالمساكن والخانات التي يأوون إليها، والحمامات التي يسْتحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك[18]، وكان في دمشق وحدها ما يقرب من (مائة حمام)[19]، كما نّظم لهم السلطان صلاح الدين مارستاناً لعلاج من مرض منهم، ووّكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، ورّتب كذلك لأبناء السبيل من المغاربة الطعام يومياً بتعينه خبزتين لكل إنسان في اليوم مهما بلغ عددهم[20]. فضلاً عن اتخاذه لعدد من الإجراءات الأُخرى، كإلغائه المكوس والضرائب التي كانت تُجبى من الحجيج منذ أيام الفاطميين والتي كانت قد أثقلت كواهل الكثير منهم، وكان من يمتنع عن دفعها يعرّض نفسه لأشد العقوبات[21].

ونظراً لتلك الرعاية المتميزة لهم دعا ابن جبير أبناء جلدته من المغاربة للرحلة إلى تلك البلاد بالقول: «فمن شاء الفلاح من مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة: فأولها فراغ البال من أمر المعيشة –وهو أكبر الأعوان وأهمها– فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عُذر للمُقّصر إلاّ من يدين بالعجز والتسويف فذلك من لا يتوجه هذا الخطاب إليه وإنما المخاطب كل ذي همة يحول طلب المعيشة بينه وبين مقصده في وطنه من الطلب العلمي، فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك فادخل أيها المجتهد بسلام وتغنم الفراغ والانفراد قبل علق الأهل والاولاد ويقرع سن الندم على زمن التضييع»[22].

يُستشف مما سبق أن المغاربة كانوا يتوقون إلى المشرق من أجل تلقي العلوم والآداب فيها لعلو مكانتها العلمية بالنسبة إلى بلادهم وقد أكد ابن الازرق (ت 896هـ/1490م) هذه الحقيقة عندما قارن بين أهل المشرق والمغرب فأشار صراحة إلى أن أهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة العلم من أهل المغرب، ففيها الأمصار العظيمة حسب رايه التي هي بمثابة معادن العلم والتي لم ينقطع فيها سند التعليم مثل بغداد، والبصرة، والكوفة ودمشق والقاهرة، وإليها كانت الرحلة منذ عهود مبكرة[23].

كما ويتضح من نّص ابن جبير الآنف الذكر أن مشاق الطريق وتكاليفها المادية كانت تحول في كثير من الأحيان في رحلة المغاربة مُنفردين لاسيما طلبة العلم الذين كان أكثرهم يُعانون من ضنك العيش[24] لذلك كانوا ينتهزون فرصاً سانحة للخروج في قوافل جماعية كتلك التي تخرج في مواسم الحج السنوية للتقليل من تكاليف الرحلة والتغلب على مشاق الطريق وأعباءها الأُخرى، وما قد يوجهونه من مخاطر، ورغم أن بلاد الشام لم تكن على طريق الحج، فإن مواكب الحج السنوية كان لها أبلغ الأثر في إثراء الحياة العلمية، وفي تلاقح الافكار، وتمتين الصلات بين بلاد الشام والبلاد الإسلامية عموماً وبينها وبين أقاليم المغرب الإسلامي خصوصاً وكان الحج هو القاسم المشترك لغالبية الوافدين[25]، وكان بعضهم يجاور ويقيم بمكة حيناً[26]، ومنهم من كان يُتابع رحلته بعد أداء فريضة الحج إلى البلاد التي يُريدها، وقد اكتظت بلاد الشام بالوافدين من

المغاربة والأندلسيين, وشّكلت حواضرها كدمشق وحلب وحماة مراكز هامة للتبادل الفكري والحضاري وانقطع الكثير من الوافدين أثناء فترة تواجده إلى تلقي العلوم والآداب التي كانت مزدهرة فيها، وإلى لقاء شيوخها البارزين، كما أن البعض منهم كان تحدوه الرغبة في زيارة الأماكن المقدسة ببلاد الشام كبيت المقدس[27]، وكانوا في غالبيتهم على المذهب المالكي، لذلك أصبح مصطلحي المغربي والمالكي مترادفين في المصادر، وربما يُشار إلى أحدهما عوضاً عن الآخر[28].

كما استهوت بلاد الشام بطبيعتها وخيراتها وتجارتها الزاهرة عدداً غير يسير من المغاربة والأندلسيين للإقامة فيها، وجمع بعضهم بين الرغبة في الاستحصال المعرفي والتقاء كبار الشيوخ وأداء فريضة الحج، فضلاً عن القيام بالأعمال التجارية[29] وتّولي بعض المناصب[30].

ويُلاحظ من خلال استقراء النصوص التاريخية أن اندماج المغاربة في المجتمع الشامي كان سريعا نظراً لما تمتع به هؤلاء الوافدون من السمعة الطيبة، والورع، والأمانة، التي ذاع صيتهم بها[31]، لذلك كانوا محل ترحيب الشاميين، الذين عرفوا بسماحتهم وكرمهم مع الغرباء[32]، وكانت المرافق الخدمية المرصودة لخدمتهم بدمشق وحدها «أكثر من أن يأخذها الإحصاء»[33] حسب تعبير ابن جبير، ومن ثُمّ فلا عجب أن آثر الكثير منهم البقاء على الرجوع إلى بلاده[34].

وبلغ من اهتمام الشاميين بالمغاربة أن وقفوا على موتاهم مقابر خاصة بهم كمقبرة خليل بن زويزان التي تقع بدمشق إلى الجنوب من مقابر الصوفية وكان أول الذين دفنوا بها الشيخ الفقيه أبو الحسن علي المراكشي[35]، والمقبرة التي تُعرف بمقبرة «فقراء المغاربة»، وتقع في سفح جبل قاسيون[36]، ومن ناحية أُخرى وجد من أهل دمشق من وقف جزءاً من ثروته على فقهاء المغاربة بعد وفاته، مثل الشيخ أحمد بن عبد الله الذهبي (ت 663هـ/1265م) الذي يقول عنه رفيقه أبو شامة المقدسي: «... ثمّ بقي عندنا مُدّة عمره وخلف كتباً كثيرة، وثروة، ووقف داره على فقهاء المالكية»، وأوصى لهم بثلث ماله وحرضته أن يقف شيئاً من أصول كتبه فلم يفعل[37]، هذا بالإضافة إلى الأراضي والبساتين التي خُصّصت للصرف عليهم منذ أيام حكم نور الدين محمود زنكي[38]، وكذلك الأمر في بيت المقدس إذ وقفت لهم زاوية في المسجد الأقصى تشبه تلك التي خُصّصت لهم في الجامع الأموي بدمشق، وكانت لهم أيضاً خانقاه عرُفت بـ «الخانقاه الفخرية»[39] والمدرسة الأفضلية التي كانت بحارة المغاربة بالقدس وقفها الملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين على فقهاء المغاربة[40]، بعد أن توافد على المدينة أعداد كبيرة منهم لأجل العلم والإقامة[41]، وقس على ذلك بقية المدن الشامية، ومن ثُمّ فلا عجب إن دعا الرحالة ابن جبير أبناء جلدته من المغاربة والأندلسيين للرحلة إلى المشرق الاسلامي وتحديداً بلاد الشام ومصر التي وجدت فيها جاليات كبيرة بلغ تعدادها آلاف من مُختلف الفئات، بعد أن وجدوا في حواضر الشام الأرض الصالحة التي يُمكن أن يُحققوا فيها أمنياتهم، وتقييهم شر العوز والحاجة، وتُخفّف عنهم مرارة الشوق والبعد عن الوطن الأم[42].

◄ المبحث الثاني: إسهام المغاربة في الحركة العلمية ببلاد الشام:

◆أولاً/ في ميدان العلوم النظرية:

رغم حالة القلق وعدم الاستقرار التي أصابت

بلاد الشام والمنطقة طيلة العصر الأيوبي وانشغال الأيوبيين بحروب الجهاد المقدسة فإنه يمكن القول أن ذلك العصر كان عصر إحياء للفكر والثقافة الإسلامية كما كان عصر إحياء سياسي، ومن المعروف أنّ المسلمين قد بدأوا حياتهم الثقافية من منطلق العلوم الدينية التي تشمل علوم القرآن الكريم وعلوم الحديث، والفقه والتشريع، وذلك لأهميتها في تنظيم حياة المجتمع الإسلامي، حيث ظهرت الحاجة إليها لأغراض عملية تتعلق بالتشريع لذلك سميت بالعلوم الشرعية[43]، هذا فضلاً أن العلوم الدينية قد اكتسبت أهمية ملحوظة في العصر الأيوبي وحظي علماؤها بالرعاية والدعم من قبل الأيوبيين الذين شّيدوا العديد من المراكز العلمية من مساجد ومدارس ودور حديث وما إلى ذلك، ويبدو أن إحساس المسلمين بالخطر الصليبي الداهم زاد من اهتمامهم بمثل تلك العلوم لدورها في حشد طاقات الأمة الجهادية.

لقد كان للمغاربة مساهماتهم في الكثير من الميادين العلمية إلا أنّ نشاطهم في ميدان العلوم النظرية كان أوسع انتشارا وأعمق أثراً لما لاقته هذه العلوم من رعاية واهتمام بالقياس إلى العلوم التطبيقية، فقد اشتغل العدد الأكبر من المغاربة الذين حلوا ببلاد الشام في هذا المجال، لاسيما في ميدان العلوم الدينية والتي تشمل علوم القرآن الكريم كالقراءات والتفسير وعلوم الحديث النبوي الشريف، والفقه، كما برز الكثير منهم في علوم اللغة العربية كالنحو والأدب بالإضافة إلى العلوم الاجتماعية: كالجغرافية والتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع إلى غير ذلك.

وفي مقدمة العلوم الدينية التي ساهم فيها المغاربة نذكر: (علم القراءات) حيث برز عدد كبير من أئمة القراء المغاربة الذين كانت لهم إسهاماتهم في هذا المجال تدريساً وتأليفا وانتشرت مؤلفات الكثير منهم في أرجاء العالم الإسلامي وذاع صيتها وأصبحت الأساس الذي يرجع إليه طلاب القراءات، ونقلوا إلى بلاد الشام عدداً من المؤلفات في القراءات لم تكن معروفة فيها من قبل ككتاب: التيسير في القراءات السبع» للمقرئ الأندلسي الشهير أبي عمرو عثمان الداني (ت 444هـ/1052م) والذي كان مدار نقاش ودراسة وشرح وتعليق العلماء في ذلك العصر[44].

ومن كبار القراء المغاربة الذين قدموا إلى بلاد الشام واستطاعوا أن يتركوا فيها أثراً طيباً: المقرئ أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد أبو القاسم محمد الشاطبي الأندلسي (ت 590هـ / 1193م) وكان إمام القراء في عصره وله الباع الطويل في فن القراءات والنحو، وإليه انتهت رئاسة الإقراء في بيت المقدس وعظم شأنه وبعد صيته وقصده طلبة العلم من مُختلف الأقطار. من مؤلفاته كتاب حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع وهي اختصار لكتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، وكانت تعُرف بـ: الشاطبية، وهي قصيدة مشهورة بين القراء عدد أبياتها ثلاثة وسبعون ومئة وألف بيت شعري، وقد أبدع فيها حتى أصبحت القصيدة عُمدة القراءات في ذلك العصر وعني الناس بحفظها وتدريسها[45] كما ألف الشاطبي كُتباً أُخرى مُهمة كانت مدار نقاش ودراسة وشرح وتعليق العلماء منها: قصيدة دالية من خمسمائة بيت لخّص فيها مضمون كتاب التمهيد لابن عبد البر في القراءات، وقصيدة أُخرى بعنوان: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في رسم المصحف الشريف وتعُرف بالرائية، وله أيضاً كتاب: تتمة الحرز من قراء أئمة الكنز في رواة القراءات السبع[46].

واشتهر الشيخ الوجيه ابراهيم بن يوسف المغربي المعروف بابن البوني (ت 612هـ/1215م) كان أحد مشايخ القراء المعتبرين بجامع دمشق، وكان يؤم بمقصورة الحنفية الغربية، وكان فاضلاً ساعياً في حوائج

الناس، توفي بدمشق، وكان دفنه يوماً مشهوداً[47].

ومن مشاهير القراء المغاربة أيضاً نذكر: الشيخ زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي (ت 638هـ /1240م) وكان إماماً في النحو، شاعراً محسناً، نزل دمشق، وله مؤلفات عديدة في النحو واللغة، كما نّظم قصيدة في القراءات السبع[48]، وتروي المصادر عن الشيخ أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الأموي الاشبيلي (ت 654هـ/1256م)، أنه قرأ القراءات السبع بغزة سنة 595هـ/1295م على غير واحد من الشيوخ، ثُمّ تصدّر للإقراء بالموصل والشام ومصر[49] أما الشيخ محمد بن حسن بن يوسف الفاسي(ت 656هـ/1258م) فقد نزل بمدينة حلب ووصف كونه واسع العلم، كثير المحفوظ بصيراً بعلم القراءات وعللها مشهورها وشاذها خبيراً باللغة انتهت اليه رئاسة الإقراء بحلب[50]، ومن المشاهير أيضاً نذكر: زين الدين أبو محمد عبدالسلام بن علي بن عمر الزواوي (ت 681هـ /1282م) الذي رحل إلى دمشق سنة 617هـ/1220م فقرأ القراءات على شيخها أبي الحسن السخاوي وباشر مشيخة الإقراء الكبرى بالتربة الصالحية وانتهت اليه رئاسة الإقراء بالشام وولي قضاء المالكية بدمشق[51].

كما حظي(علم التفسير) باهتمام عدد من العلماء المغاربة نذكر منهم: أبو الحسن علي بن محمد بن موسى الانصاري الأندلسي المعروف بابن الحصار (ت 611هـ/1214م) قدم مصر وبلاد الشام، وصّنف كتاباً في ناسخ القران ومنسوخه[52] والشيخ محمد بن يحيى بن خليل الاشبيلي (ت 640هـ/1242م) رحل مع أخيه المشرق وكان قد اعتنى بالتفسير وغلب عيه ذلك، من مصنفاته: كتاب غوامض التأويل[53] وصّنف الشيخ علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي الأندلسي (ت 637هـ/1239م) تفسيراً على طريقة الفلاسفة والمتصوفة، وكان ذو فصاحة لسان وبيان، أقام بمدينة حماة، وبها كانت وفاته[54] والشيخ محمد بن أحمد الأندلسي المعروف بالشريشي (ت 685هـ/1286م)، برع في النحو والتفسير وطاف في الكثير من البلاد وسمع الحديث ببغداد وبدمشق وحلب واربل، وجمع ودرس وأفتى، وكان من المتبحرين في مذهب مالك، وعندما كان بدمشق طلب لقضائها فامتنع[55].

ومن العلوم الدينية التي ساهم فيها المغاربة نذكر علوم الحديث وهو العلم الذي أخذ حيزاً كبيراً في مجال التأهيل الفكري خلال العصر الأيوبي، وكان من مظاهر الاهتمام به تدريسه الأطفال في الكتاتيب والمساجد[56]، ورغم أن الاهتمام بعلم الحديث يعود إلى فترة سابقة للعصر الأيوبي، إلا أنّ الشيء الجديد الذي طرأ على الشاميين انحصر في أنهم لم يعرفوا قبل هذه الفترة حفاظاً كباراً ومحّدثين مؤهلين من أصل مغربي عملوا في هذا الشأن، فقد كان المغاربة قبل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي يأخذون عن المحدثين الشاميين، ثُمّ يعودون بعد ذلك إلى بلدانهم أما بعد هذه الفترة فإن الصورة تغيرت بشكل كبير، وأصبح المغاربة يرتادون بلاد الشام بقصد العمل الذي كان يعني للبعض الدراسة والحفظ والمتابعة وقد استطاع عدد منهم أن يصلوا إلى أعلى مستويات العلم والأهلية، وغدوا في أحيان متعددة معلمين بارعين في هذا العلم، وظهرت مكانتهم العلمية بوضوح في المدارس الشامية التي ترأسوها أو درسوا بها حتى غدوا مقصداّ للمهتمين من شتى الأقطار الإسلامية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر المحدث العلامة عيسى بن عبدالعزيز بن يللبخت بن عيسى المراكشي المغربي (ت 607هـ/1210م) وكان عالماً بكتاب الله قراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يقرأ عليه الصحيحان والموطأ فيصححون النسخ من حفظه[57]، والمحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن

سليمان المرسي (ت 610هـ/1213م)، محدث تلمسان، رحل إلى المشرق وحج وطال الغيبة فأكثر عن العلامة المحدث أبو طاهر احمد بن محمد السلفي (ت 576هـ/1180) ودعا له وقال له: تكون محدث المغرب إن شاء الله ثُمّ استوطن تلمسان وخرج وصّنف وعمل معجم لشيوخه في مجلد، ورحل إليه المحدثون وكان حافظاً للحديث ضابطاً له، ألف أربعين حديثاً في المواعظ وأربعين حديثاً في الفقر وفضله وأربعين في الحب لله وأربعين في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصانيف آخر(58) والمحدث محي الدين أبو بكر محمد بن ابراهيم بن سراقة الأندلسي الشاطبي (ت 662هـ/1263م) دخل حلب ودمشق والقاهرة، تولى دار الحديث الكاملية بالقاهرة، كما وّلي مشيخة دار الحديث البهائية بحلب(59).

وبرز منهم مُحدثين كبار حاز بعضهم على لقب الحافظ مثل: الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن أحمد بن دحية الكلبي (ت 633هـ/1235م)، وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء مُتقناً لعلم الحديث وما يتعلق به اشتغل ببلاد المغرب ثُمّ رحل إلى الشام ثُمّ منها إلى العراق واجتاز اربل سنة 604هـ/1207م فوجد ملكها المعظم مظفر الدين كوكبري يعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب: السراج المنير وقراءه عليه بنفسه فأجازه ألف دينار(60)، كما كان الملك الكامل مقبلاً عليه وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة 621هـ/1224م(61)، والحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي الأندلسي الاشبيلي (ت 636هـ/1238م) رحل إلى المشرق في طلب الحديث، أقام بدمشق سنين كثيرة بمسجد فلوس وغيره ثُمّ سافر إلى حلب فلما رجع إلى حماة توفي بها سنة 637هـ/1239م(62)، والحافظ ابراهيم بن عيس المرادي الأندلسي (ت 668هـ/1269م) وكان بارعاً في علم الحديث وعلومه وتحقيق ألفاظه لا سيما الصحيحان(63)، والحافظ أحمد بن فرج بن أحمد الاشبيلي (ت 699هـ/1299م)، نزيل دمشق وكانت له حلقة اقراء في جامع دمشق يقرأ فيه فنون الحديث(64).

وفي مجال الفقه برز عدد من المغاربة نذكر منهم: الفقيه أبو محمد جامع بن عبد الله الأندلسي (ت 602هـ/1205م)، توّلى القضاء بدمشق مدة وبها كانت وفاته(65)، والفقيه غالب بن أبي محمد عبد الخالق بن أسد الطرابلسي (ت 608هـ/1211م) وكان يعمل بزازاً بدمشق، صّنف ودرّس ووعظ وأمّ بالناس في المقصورة الشرقية(66)، والشيخ برهان الدين علي علوش بن عبدالله المغربي (ت 617هـ/1220م) وكان عالماً بالأصول والفروع وكان امام المالكية بدمشق(67)، والفقيه أبو عبدالله محمد بن ابراهيم السبتي (ت 627هـ/1229م) اشتغل بعلم الأصول، وكان عارفاً به ، وسكن دمشق إلى أن مات، وكتب بخطه الكثير يبلغ مئة مجلد خارجاً عن الأجزاء، وولي مسجد الجوزة بدمشق(68) والشيخ يحيى بن عبدالرحمن بن عبدالمنعم المغربي(ت 668هـ/1269م)، وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً عابداً صنف كتاب الروضة الأنيقة وكتاباً في الخلافيات بين الشافعي وأبي حنيفة توفي بغرناطة(69)، والعالم المجتهد أبو محمد بن أبي البركات الصدفي الطرابلسي (ت 684هـ/1285م)، أحد المشايخ الكبار، رحل إلى الحج ولقي الأفاضل عز الدين بن عبد السلام وغيره، وكان له علم بالفقه وأصول الفقه والدين وكان يجلس للإقراء فقرأ عليه الفنون الثلاثة: الفقه وأصوله وأصول الدين، وكان مقدماً للفتية في إفريقية (تونس)(70).

أما في مجال (علوم اللغة العربية) فقد كان للمغاربة دورهم البارز، وبخاصة في علم النحو والصرف الذي كانوا فيه أقطاباً لا يقلون شاناً عن أمثالهم

من علماء الحديث، الذين أتينا على ذكرهم، وظهر منهم نحويون عظام كان لهم بالغ الأثر في خدمة علم النحو والمهتمين به، واستطاع كثيرون منهم أن يتّصدوا بجدارة لمهمة التدريس في هذا المضمار في العديد من مدارس الشام ومساجدها، مما أضفى على بعضهم الشهرة، وذلك من خلال المؤلفات التي خلّفوها، نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن عيسى المراكشي (ت 607هـ/1210م)، وكان إماماً في علم النحو كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشائكه، دخل مصر وقرا على العلامة النحوي أبي محمد عبد الله بن بري (ت 582هـ/1186م) ونقل عنه شيئاً في مقدمته التي أسماها قانون الجزولي وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو لم يسبق إلى مثلها وانتفع به خلق كثير في النحو، وكان إذا سُئل عن هذه المقدمة: أمن تصنيفك هي؟ قال: لا إنها نتاج بحوثي على ابن بري كان يحفظها[71]، وعلي بن محمد بن علي نظام الدين أبو الحسن بن خروف الاندلسي النحوي (ت 609هـ/1212م)، حضر من اشبيلية وكان بارعاً في النحو، أقرا النحو بعدة بلاد وأقام بحلب من مصنفاته: شرح سيبويه وشرح الجمل وكتاب في الفرائض وتوفي بإشبيلية[72].

ومن مشاهير النُحاة أيضاً: زين الدين يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي (ت 628هـ/1230م)، ووصف كونه أحد ائمة عصره في النحو واللغة، كما كان شاعراً محسناً، لقبّه الذهبي بـ: شيخ النحوين»[73] سكن دمشق زمناً طويلا واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به، ذكر السيوطي عدداً من مؤلفاته منها: العقود والقوانين في النحو وكتاب على حواشي على أُصول ابن السراج في النحو وكتاب شرح الجمل في النحو وشرح أبيات سيبويه نظم وكتاب ديوان خطب وقصيدة في القراءات السبع ونظم كتاب الصحاح للجوهري في اللغة ولم يكمل، ونّظم كتاب الجمهرة لابن دريد في اللغة ونّظم كتاباً في العروض وله كتاب المثلث[74] وكان قد حظي برعاية الملك الكامل محمد بن الملك العادل وانتقل بناء على دعوته إلى مصر الذي قرر له التّصدر بجامع عمرو بن العاص لتدريس العربية وخصّص له راتباً مجزياً على ذلك، وكان يعتمد عليه في المسائل النحوية وعند وفاته حضر مراسيم تشييعه والصلاة عليه[75] والنحوي محمد بن عبد الله بن أبي الفضل السلمي الاندلسي (ت 655هـ/1257م) كان من الائمة الفضلاء في الحديث، وعلوم القران والفقه والخلاف والاصلين والنحو واللغة، وترك مصنفات في النحو منها: الضوابط الكلية في علم العربية توفي بين العريش وغزة وهو متوجه إلى دمشق سنة 655هـ/1255م[76]، وأبو بكر بن يحيى بن عبدالله المالقي النحوي (ت 657هـ/1257م)، قرأ النحو وكان بارعاً فيه صّنف شرح سيبويه وشرح إيضاح الفارسي وشرح لمع ابن جني[77].

ومن المشاهير أيضاً: محمد بن مالك النحوي (ت 672هـ/1273م) وكان من كبار نحاة الأندلس الذين رحلوا إلى الشام ، وكان همه أن ينبغ في اللغة والنحو وكان له ما أراد وكاد ينازع سيبويه شهرته حيث صار يضُرب به المثل في معرفته بدقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغة مع التحري فيما ينقله، ولقّب بشيخ النحاة انطلاقا من سمعة علمه واطلاعه وخبرته الواسعة في هذا العلم[78].

ولا تنحصر أهميته بصفته شخصية نحوية مرموقة بقدر ما تنحصر وتتجسد في أنه كان صاحب مدرسة كتب لها الخلود لزمن طويل بعد رحيله إلى درجة وصلت إلى أن جميع النحويين الذين خلّفوه من المغاربة والشاميين لم يتمكنوا من التأليف والانتاج بالشكل الذي يجاريه. وتوقف الأمر بأن كثير من مشاهير النحويين على شرح مؤلفاته، وهذا إن دّل على شيء، فإنما يدل على المستوى الرفيع الذي بلغه

ابن مالك في حقل النحو، وربّما لم تعرف بلاد الشام نحوياً طوال العصور الاسلامية كابن مالك النحوي، من ناحية سعة علمه واطلاعه أو من ناحية مؤلفاته الكثيرة التي تبحث في مجاهيل علم النحو وقواعده والتي بلغت أكثر من عشرين مؤلفاً نذكر منها: الكافية الشافية، وهي منظومة شعرية في النحو والصرف والوافية وهي شرح للكافية، كما وضع مختصراً للكافية دعاه الخلاصة الألفية وتُعرف أيضاً بـ: ألفية ابن مالك وتضم أبواباً وفصولاً كثيرة أولها باب الكلام وما يتألف منه وأخرها باب الإدغام. ومن أثاره أيضاً: المقدمة الأسدية ألفها لابنه تقي الدين محمد المعروف بالأسد وله أيضاً: الفوائد واعراب مشكل البخاري وتسهيل الفوائد وتكيل المقاصد وعدة اللافظ وعمدة الحافظ والمنهاج وهو شرح المقدمة الجزولية والموجز فيما يهمز وما لا يهمز وغيرها من المصنفات[79].

وألف في علم الصرف مؤلفات منها: الخلاصة أو الألفية وهي أرجوزة في ألف بيت اختصر فيها الكافية وقد ظفرت بعناية العلماء فوضعوا عليها الشروح أو الحواشي وأصبحت أساساً لدراسة علم الصرف واشتهرت باسم ألفية ابن مالك، وله أيضاً مختصر في التصريف دعاه ضروري التصريف قام بشرحه في كتاب أخر سمّاه إيجاز التعريف في علم التصريف[80].

ومن المشاهير أيضاً: محمد بن عمر بن عبد الله المراكشي الأربلي المولد، الأديب، كان فقيهاً فاضلاً وأديباً شاعراً له النظم والمعرفة بالنحو واللغة ودرّس بدمشق، ولد بأربل 602هـ/1205م ومات بدمشق سنة 676هـ/1277م[81].

كما ساهم بعض المغاربة في مجال التدوين التاريخي وأدب الرحلات نذكر منهم: الرحالة الأندلسي أبو الحسين محمد بن جبير الكناني (ت 614هـ/1217م)، رحل إلى المشرق اكثر من مرة كان آخرها سنة 601هـ/1204م وأمضى بقية حياته متنقلاً بين الحجاز ومدن الشام ومصر إلى أن وافته المنية بالإسكندرية[82]، وقد دوّن ابن جبير رحلته الأولى في كتاب حمل عنوان تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ذكر فيه كل ما مرّ به من مدن، وما شاهده من عجائب البلدان والأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما عني عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد، وذكر الصعوبات التي واجهته في أسفاره، ولم يغفل الحديث عن الحروب الصليبية، وكان شديد الاعجاب بالسلطان صلاح الدين كثير المدح له[83].

ولا شك أن لرحلة ابن جبير مكانة مرموقة بين المصادر الجغرافية والتاريخية لذلك العصر فقد تمكن المؤلف بقوة الملاحظة التي يتمتع بها وبأسلوبه الأدبي الرفيع الذي يمتاز بالرصانة والحيوية وسهولة التعبير من تصوير حياة عصره في الكثير من النواحي، وهي كغيرها من المؤلفات التي مزجت في مادتها بين الجغرافية والتاريخ والأدب.

◆ثانياً/ في ميدان العلوم التطبيقية:

ساهم المغاربة في بعض العلوم التطبيقية كالطب من خلال قيامهم بتدريس هذا العلم، وكذلك التصنيف فيه، فضلاً عن مساهماتهم وممارستهم العملية له، وكان عملهم في الغالب يقوم على أساس التجربة والمشاهدة والابتعاد عن أعمال الكهانة والتنجيم والسحر وغيرها من الاعتقادات الخاطئة التي شابت صناعة الطب لفترة طويلة خلت[84] وكان تدريس الطب يجري على منهجين: منهج نظري يشمل على دراسة الأمراض وكيفية علاجها، ومنهج عملي تطبيقي يشمل التدريب والتمرين على كيفية المعالجة حيث يجتمع بموجبه طلاب الطب حول رئيس الأطباء ليشاهدوا طرق الفحص ووصف العلاج[85]

ويمكن القول ان الاهتمام بالطب في ذلك العصر كان له ما يبرره لكثرة عمليات الجهاد والحاجة الملحة للأطباء لإسعاف المصابين في عمليات القتال، كما أن مهنة الطب أيام الجهاد تعد جهادا في سبيل الله لا تقل شرف ممارسته عن القتال في ساحة المعركة لذلك كثر المشتغلون به. وحظي أصحابها بمكانة اجتماعية مرموقة لدى العامة والخاصة وكثيرا ما حرص ممارسوها على تعليمها لأبنائهم[86].

من جهة أُخرى فإن رعاية الأيوبيين للطب دفعت بالكثير من المغاربة للتوجه إلى بلاد الشام ومصر للاستقرار فيها بشكل نهائي كما فعل أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي (ت 605هـ/1208) وهو من عائلة يهودية، ولد بقرطبة وبها نشأ وقرأ الكثير من العلوم الفلسفية والرياضية والطب، ثم خرج مع أهله إلى المشرق ونزل بالفسطاط بين يهودها، ودخل في خدمة صلاح الدين ومن بعده ابنه الأفضل علي، وترك مؤلفات عديدة منها: المختصرات وهي تلخيص الكتب الستة عشر لجالينوس وله شرح أبقراط وفصول موسى في الطب والرسالة الأفضلية، وكتاب السموم والتحرز من الأدوية ومقالة في البواسير وعلاجها[87].

كما برز آخرون في مجال الصيدلة وحققوا إنجازات مهمة في ميدان استخراج العقاقير من مصادرها، وكذلك بيان كيفية تركيبها ومعالجتها بطرق مختلفة منها الطرق الكيماوية لغرض تحويلها من حال إلى آخر بما يحدث فيها من تفاعلات وفق نسب ثابتة[88].

ولما كان علم الصيدلة جزءا لا يتجزأ من علم الطب فقد واكب تقدمه النهضة الطبية التي شهدتها مصر في العصر الأيوبي، وكان للأطباء الدور البارز في صناعة الأدوية وتحضيرها، وكثيرا ما يتم تركيبها في أماكن خاصة معدة لهذا الغرض، ومن أهم تلك الأماكن البيمارستانات التي كانت تضم صيدليات ملحقة بها[89].

وممن اشتهروا بتحضير العقاقير: الطبيب أبو جعفر عمر بن البذوخ المغربي (ت 575هـ/1197م) ووصف كونه خبيراً بمعرفة الأدوية وتركيبها، وله حسن نظر في الاطلاع على الأمراض ومداواتها وله دكان عطر يجلس فيه ويعالج من يأتي إليه ويستوصف منه كما يقوم بتحضير أدوية مركبة يصفها «من سائر المعاجين والأقراص وغير ذلك يبيع وينتفع الناس منه»[90].

واشتهر الطبيب أحمد بن محمد الأندلسي (ت 637هـ/1239م) بلقب النباتي العشاب[91] لمعرفته الواسعة بالنبات، وتذكر المصادر أنه رحل إلى بلاد كثيرة في المشرق والمغرب وكان دافعه في الرحلة هو دراسة النباتات في بيئاتها الطبيعية، وله في ذلك تصانيف عديدة منها: الرحلة النباتية وشرح حشائش ديسقوريدس وأدوية جالينوس[92].

ولا يفوتنا ذكر الطبيب النباتي ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المعروف بابن البيطار (ت 646هـ/1248م) وهو من أشهر صيادلة القرن 7هـ/13م وإليه انتهت معرفة النباتات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها، اشتغل بالرحلة زمانا طويلا فزار بلاد الروم، وتجول في المغرب ومصر رغبة في جمع الحشائش والنباتات ودراستها دراسة علمية، ودخل في خدمة الأيوبيين بمصر، وكان الملك الكامل (635-615هـ/1237-1218م) يثق به ويعتمد عليه في المسائل الطبية والأدوية وجعله رئيساً على سائر العشابين بمصر، كما كان حظياً متقدماً عند الملك الصالح نجم الدين أيوب[93].

وقد عرف ابن البيطار الكثير من النباتات ذات الأهمية الطبية التي لم يعرفها أحد قبله، ومن أشهر

مؤلفاته: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية صنفه للملك الصالح نجم الدين، ويحتوي على شتى الأدوية وما قام به المؤلف من اختبارات وتجارب في تركيبها وهو من أجل كتب الأدوية وأجمعها سماه بالجامع لكونه جمع بين الدواء والغذاء والمراد من المفردات كل واحدة من العقاقير قبل التركيب[94]، وقد قام بتصنيفه بعد دراسات طويلة ورحلة مضنية في بلاد الروم والمغرب والأندلس ومصر والشام، واعتمد في جمع مادته على أكثر من مئة وخمسين من أمهات الكتب التي صنفت قبله ثم أضاف إليها حصيلة تجارية ومشاهداته ووصف فيه نحو ألف وخمسمئة نوع من الأدوية المختلفة بين نباتي ومعدني وحيواني منها ثلاثمئة نوع جديد لم يتناولها كتاب في الصيدلة من قبل[95].

واعتمد ابن البيطار في تأليفه على المنهج العلمي الذي يقوم على التجربة والمشاهدة، لذلك عده البعض بأنه «ثمرة ناضجة لأوسع دراسة قام بها المسلمون في ميدان الصيدلة وعلم النبات»[96]. واعتبر أساساً ومصدرا لغيره من المؤلفات التي وضعت فيما بعد مثل كتاب المعتمد في الأدوية المفردة من تصنيف الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول الغساني (ت 694هـ/1294م)[97].

ومن مؤلفات ابن البيطار الأخرى نذكر كتاب الإبانة والأعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام وشرح أدوية كتاب ديسقوريدس والمغني في الأدوية المفردة ويلي الجامع من حيث أهميته وشهرته وتناول فيه علاج الأعضاء بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء[98].

◀ أهم الاستنتاجات:

استنادا إلى المعطيات التاريخية الواردة في هذا البحث يمكن الوصول إلى نتائج عديدة أهمها:

- إنّ التفكك السياسي الذي عانى منه العالم الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين رغم نتائجه السلبية لم يكن عائقاً امام استمرار الحركة العلمية، وتواصل البلاد الإسلامية فيما بينها على المستوى الثقافي وكانت التحديات الخارجية كالغزو الصليبي في مقدمة العوامل التي ساهمت في وحدة العالم الاسلامي على المستوى الفكري اكثر من أي وقت مضى. كما أن سقوط الخلافة الفاطمية سنة 567هـ/1171م كان حدثاً خطيراً في تاريخ المسلمين، فبسقوطها اصبحت الخلافة العباسية الخلافة الوحيدة التي يدين لها المسلمون بالولاء الروحي، ومن ثمّ ساهم ذلك في قوة التفاعل والتواصل الحضاري بين المشرق الإسلامي ومغربه .

- كان لبروز بلاد الشام على المستوى السياسي والحضاري خلال العصر الايوبي له ما يبرره لأن تلك البلاد أصبحت ميدان المواجهة المباشرة مع العدو الصليبي، وإليها اتجهت أنظار ساسة المسلمين وعامتهم، فارتحل إليها الكثير من العلماء والمجاهدون ليدافعوا عن المقدسات الإسلامية بسيوفهم واقلامهم، وأصبحت دمشق حاضرة السلطان صلاح الدين الايوبي تمثل على حد تعبير الرحالة المغربي ابن جبير جنة المشرق وعروس المدن الإسلامية آنذاك.

- شكّل المغاربة والأندلسيون أحد اهم شرائح المجتمع الشامي بعدما نزحوا إليها بأعداد كبيرة بعد أن أجبرتهم الظروف السياسية والأخطار التي احدقت بهم، والتي اتسمت بالسلبية في مجموعها الكثير من سكانها على النزوح عن بلادهم. فضلاً عن دور العامل الديني المتمثل بالجهاد، حيث كانت بلاد الشام الجبهة الرئيسية التي سعى المسلمون إلى

تأمينها من الخطر الصليبي الذي كان يتهددها، وقد سبق للسلطان صلاح الدين أن استنجد بالموحدين، كما لا ننسى ان بلاد الشام تقع في طريق الحج إلى الديار المقدسة بالحجاز توافد اليها سنوياً الكثير من المغاربة في طريق رحلتهم إلى اداء فريضة الحج .

– آثّر الكثير من المغاربة النازحون إلى بلاد الشام البقاء في تلك البلاد بسبب ما لقوه من الترحيب والدعم لاسيما من الايوبيين، فعاشوا حياة رغيدة آمنة، وسرعان ما اندمجوا في المجتمع الشامي، وكانت لهم بصمات واضحة في الكثير من الميادين، وكان لهم دور مشهود في الجهاد ضد الصليبيين ودفع الكثير منهم حياته ثمناً لذلك، كما وقع العديد منهم اسرى بيد العدو.

– كان للمغاربة دور في الكثير من الميادين العلمية وفي مُقدمتها العلوم الدينية والتي تشمل علوم القران الكريم كالقراءات وعلوم الحديث النبوي الشريف والفقه، كما برز العديد منهم في علوم اللغة العربية كالنحو والأدب، بالإضافة إلى العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية الصرفة كالطب والصيدلة.

◄ الهوامش:

(1) سيدة اسماعيل كاشف، صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف الاسلامي وبطل الجهاد في سبيل الله، عالم الكتب (بيروت: 1986)، ص 41.

(2) أبو الحسين محمد بن أحمد بن سعيد بن جبير الكناني (ت 614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني (بيروت: د/ت)، ص 183.

(3) سعيد عبدالفتاح عاشور، «المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية» بحث في وقائع المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام المنعقد في الجامعة الاردنية (عمان: 1974) ص220.

(4) للمزيد ينظر: علي بن محمد ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، ط1، (مصر: 1351هـ)،ج2، ص ص 240، 321؛ علي أحمد، الاندلسيون والمغاربة في بلاد الشام ط1، مطبعة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (دمشق: 1989)، ص ص 85 – 86.

(5) علي أحمد، المرجع نفسه، ص ص 85 – 86.

(6) أبو يعلى حمزة بن القلانسي (ت 555هـ/1160م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق آمدروز، مطبعة الاباء اليسوعيين (بيروت: 1908)، ص302.

(7) هامتلون ا. رجب، صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الاسلامي، ترجمة يوسف ايبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت: 1973)، ص 204.

(8) رحلة ابن جبير، ص 201.

(9) شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة (ت 665هـ/1266م) تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين المعروف بالذيل على الروضتين، عني بنشره، السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل (بيروت: 1974)، ص 16.

(10) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص186.

(11) رحلة ابن جبير، ص 52.

(12) المصدر نفسه، ص 200.

(13) المصدر نفسه، ص 53.

(14) انتوني ويست، الحروب الصليبية، ترجمة. شكري محمود نديم، شركة النبراس للنشر والتوزيع (بغداد: 1967)، ص175.

(15) عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر الشيزري (ت

589هـ/1193م)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار (الزرقاء:1987)، ص65 (المحقق).

(16) ابن جبير ، المصدر السابق، ص 52.

(17) ابن جبير ، المصدر نفسه، ص 199.

(18) المصدر نفسه، ص46.

(19) المصدر نفسه، ص 202.

(20) المصدر نفسه، ص 46.

(21) وكان مقدار هذه الضريبة بالدينار المصري نحو سبعة دنانير ونصف، وتعادل خمسة عشر دينارا مغربية او ما كانت تسمى (بالمؤمنية) على كل شخص ينظر: ابن جبير، المصدر نفسه ص ص 55، 304.

(22) المصدر نفسه، ص 200.

(23) ابو عبد الله محمد بن علي ابن الازرق (ت 896هـ/1490م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب (تونس: د/ت)، ج2/ 817.

(24) ابن جبير ،المصدر السابق، ص 44.

(25) ابن جبير، المصدر نفسه.

(26) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت 656هـ/1258م)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1988)، ج 309/2؛ ابو شامة، الذيل، ص ص 170، 186.

(27) المنذري، المصدر السابق، ج3/ 560؛ ابو شامة، الذيل ص7.

(28) عبد القادر بن محمد النعيمي (ت 978هـ/1570م) الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية (بيروت: 1990)، ج/ 35.

(29) المنذري ، المصدر السابق، ج413/2، ج416/2 عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت 743هـ/1342م)، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية (الرياض: 1986) ص295.

(30) ابو شامة، الذيل، ص 7.

(31) المنذري، المصدر السابق، ج358/3، ج470/3؛ ابو شامة، الذيل، ص162.

(32) ابن جبير ، المصدر السابق، 174، ص200.

(33) ابن جبير ، المصدر نفسه، ص199.

(34) المنذري، المصدر السابق، ج2/ 343،ج3/ 602؛ ابو شامة، الذيل، ص ص 168، 170، 186.

(35) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص153؛ النعيمي المصدر السابق، ج2/ 5.

(36) ابو شامة، الذيل، ص 173.

(37) ابو شامة، المصدر نفسه، ص 235.

(38) ابن جبير ، المصدر السابق، ص 199.

(39) أبو اليمن مجير الدين العليمي (ت 928هـ/1521م) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تقديم محمد بحر العلوم المطبعة الحيدرية (النجف: 1968)، ج2/ 580.

(40) العليمي، المصدر نفسه، ج2/ 46.

(41) عبدالجليل حسن عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الايوبي والمملوكي دورها في الحركة الفكرية مكتبة الاقصى (عمان: 1981)، ج133/1.

(42) ينظر رحلة ابن جبير، ص 200.

(43) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) المقدمة، دار الفكر (بيروت: 1988)، ص551.

(44) شمس الدين ابو الخير محمد ابن الجزري (ت 833هـ/ 1429)، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية (بيروت: 1980)، ج2/ 23؛ خليفة، كشف الظنون، ج1/ 502.

(45) المنذري، المصدر السابق، ج1/ 207- 208؛ ابن الجزري المصدر السابق، ج22/2.

(46) ابن الجزري، المصدر السابق، ج23/2.

(47) ابو شامة، الذيل، ص7؛ ابن الجزري ،المصدر السابق ج2/ 20- 21.

(48) أبو شامة، المصدر السابق، ص 91.

(49) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة دار المعرفة، دار المعرفة (بيروت: د/ت)، ص 416.

(50) ابن الجزري، المصدر السابق، جـ 1/ 24، 25؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية

(بيروت: د/ت)، ج5/ 264.

(51) ابن الجزري، المصدر السابق، ج2/ 122.

(52) ابن الجزري، المصدر نفسه، ج1/ 386.

(53) المنذري، المصدر السابق ، ج2/ 309- 310.

(54) شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت 945هـ/1538م)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية (بيروت: د/ت)، ج2/ 268.

(55) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/1347م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت:1997)، ص 316.

(56) المنذري، المصدر السابق، مج1/ 70، 109، 115 مج2/ 6، 28، 82، مج3/ 173، 208، 579.

(57) المنذري، المصدر نفسه، ج165/2.

(58) احمد بن محمد الادنوي (ت في القرن 11هـ/17م) طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة: 1997)، ج2/ 28.

(59) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1998) ج22/ 24- 25.

(60) ابو شامة، الذيل، ص 230؛ ابن العماد، المصدر السابق، ج5/ 310- 31,

(61) ابو شامة، الذيل، ص 142؛ ابو العباس احمد بن عبد الله الغبريني (ت 704هـ/ 1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف ببجاية من العلماء في المائة السابعة، تحقيق عادل نويهض (بيروت: 1969)، ص ص 269- 272.

(62) ابو شامة، الذيل، ص 168.

(63) تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية (القاهرة: 1970)، ج8/ 122.

(64)السبكي، طبقات الشافعية، ج8/ 26- 29؛ الاسنوي المصدر السابق، ج2/ 143.

(65) المنذري، المصدر السابق، ج2/ 91؛ السبكي، المصدر السابق، ج5/ 53.

(66) المنذري، المصدر السابق، ج2/ 237.

(67) ابو شامة، الذيل، ص121.

(68) المنذري، المصدر السابق، جـ3/ 267 .

(69) السبكي، المصدر السابق، جـ8/ 400.

(70) الغبريني، المصدر السابق، ص109-110.

(71) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21/ 497؛ أبو العباس أحمد بن حسن ابن قنفذ (ت 809هـ/1406م)، كتاب الوفيات تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة (بيروت: 1983)، ص ص 307، 308 .

(72) السيوطي، المصدر السابق، ص 354.

(73) الذهبي، دول الاسلام، تحقيق فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: 1974)، ج2/ 134.

(74) ينظر: بغية، ص 416.

(75) المنذري ، المصدر السابق، جـ 3/ 293، ابو شامة الذيل ص 160، السيوطي، المصدر السابق ، ص 416.

(76) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت:726هـ/1325م)، ذيل مرآة الزمان،(حيدر اباد الدكن: 1954)، جـ 1/ 76- 77، اليماني ، المصدر السابق، ص 319.

(77) السيوطي، المصدر السابق، ص 207.

(78) محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ/1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق احسان عباس، دار صادر (بيروت: 1973)، ج2/ 407، 408؛ ابن الجزري، المصدر السابق ج2/ 180.

(79) الكتبي، المصدر السابق، ج3/ 408؛ ابن الجزري المصدر نفسه، ج2/ 180- 181.

(80) ابن قنفذ، المصدر السابق، ص332؛ كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف (القاهرة: 1969)، ج5/ 294.

(81) السيوطي، المصدر السابق، ص15.

(82) المنذري، المصدر السابق، ج407/2؛ ابن الجزري المصدر السابق، ج60/2 .

(83) ابن جبير، المصدر السابق، ص ص 45، 46، 47، 50، 52، 55، 60، 69، 81، 86.

(84) سعيد عبد الفتاح عاشور وسعد زغلول عبد الحميد وأحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية منشورات ذات السلاسل (الكويت: 1986)، ص121.

(85) حكمت نجيب عبدالرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب (بغداد: 1977)، ص43.

(86) ابن أبي أصيبعة احمد بن القاسم (ت 668هـ/1269م) عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق نزار رضا، دار الثقافة ط2 (بيروت: 1979)، ص ص 580، 583، 585 586، 589، 590، 600، 675.

(87) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص583؛ جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ/1248م)، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة: 1950)، ص ص317، 319.

(88) عن أوزان الأطباء ومكاييلهم وطرق تركيب الأدوية ينظر: الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق (القاهرة: 1342هـ)، ص ص106.105.

(89) ابن جبير، المصدر السابق، ص52.

(90) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص628.

(91) المنذري، المصدر السابق، ج531/3؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج58/23.

(92) المنذري، المصدر السابق، ج531/3؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ص298، 299.

(93) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص602؛ ابن العماد المصدر السابق، جـ234/5.

(94) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة القسطنطيني (ت 1067هـ/1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر (بيروت:1994)، ج453/1.

(95) محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات (بيروت: 1988)، ص306.

(96) جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس آرنولد، تراث الاسلام، ط5 (أربيل: 2000)، ج485/2.

(97) من ملوك الدولة الرسولية باليمن التي حكمت ما بين (803.626هـ/1400.1228م).

(98) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص602.